

إشكال في التمدد الفقهى

التمدد الفقهى بحد ذاته لىس له أصل شرعى واضح للمسلم حتى يحاكم عله، إنما تم فرضه بالقوى والتقاليد لا بالأدلة حتى لو كانت أدلته حجة محكمة صحيحة، إنما على مستوى التعامل تسيطر الحالة الانتهازية ففى التمدد (مغانم كثيرة) ولم يعد من المستغرب أن تجد متفققاً كبيراً بمؤلفات ومحاضرات فخمة ثم يفتخر بأنه صوص فى بيضة صغيرة، مجرد مقلد لشيخ مذهب لاكتاب له ولا أصل وربما فى ترائه ما يصح بعدم جواز تقليده كما لدى من نسبت إلهم المذاهب الأربعة رحمهم الله، بل تجد المتفقه الاتباعى يدافع عن التمدد وكأنه وحي، لذلك صرنا نتعامل مع المذاهب الفقهية كواقع مفروض بالقوة، مع ذلك لىس هذا هو الإشكال المقصود .

@ما الإشكال؟

إنه تحول التمدد الفقهى من اجتهاد إلى تعبد، ثم إلى مقاطعة غير علمية تحبس التفقه فى قوالب ضيقة منافية للاجتهاد، الذى أساسه المقارنة.

هذا التفكك الركيك علمياً القوي تقليدياً بما ترسخ من تاريخ

حله : التعامل بمنهج علمى رجب دون تعصب فى البحث عن الاستنباط الأجود من الكتاب والسنة، دون تعبد بشيخ المذهب

أوزعيم الجماعة أورايد المدرسة

ففى الأثر البليغ : (أعلم الناس أعلمهم باختلاف الناس)

ومن خلال سيرة الأئمة الأصلاء والأعلام الرواد نجد تداول المباني الفقهية المتنوعة مع المقارنة بينها، وهذا بحد ذاته اعتراف بقيمة علمية للمخالف وتقدير للرأى الآخر حتى بالرد .

لنصدق مع أنفسنا كمتفققين فلانجعل من التمدد فقه مقاطعة وبالتالي فقه ركود لايعالج مشكلات العصر ويلبى مطالب الإنسان.

على الأقل ينبغي أن نفتح باب التواصل العلمى بين المذاهب مع الاجتهاد ولو تحت رعايتها دون تقليد طابعه الانسداد.

وبالتواصل العلمى ينشط الفقه ونجد المعاهد الدينية لكل المذاهب كالأزهر فى مشهد علمى أفضل من هذا الركود ، لكى لا نجد الأزهر وأشقائه مجرد مرجع روحانى كالكنائس الغربية وربما كاد أن يصبح هكذا،

لاحظوا تعامل الجمهور المصرى مع الأزهر هل هو أفضل من التعامل مع كنيسة؟

ثم لاحظو تعامل الصحف والصفحات ضد الأزهر، مع بقاء خط احترام روحى ضئيل.

#قال أبوهجر : لو بقى باب الاجتهاد للفقه المذاهبى مفتوحاً لوجدنا محاورات مثمرة لم تجمد على

التقليد ولم تفرخ العصبيات، لأن الفقه بحد ذاته علم اجتهادي متجدد وكل صيحة تواجه حيوية الفقه إنما تواجه الحياة بكاملها .

قد تترسخ التقاليد فترة إنما لابد أن تجئ تيارات اجتهادية تجرفها، حينها لاينفع التشبث بذرائع المحافظة على التراث أو الثوابت لأن الاجتهاد بحد ذاته هو المبدأ الأصيل المعقول المطلوب المناسب لمطالب الإنسان عبر العصور بل لحيوية الإسلام دين الحنيفية السحاء .

#الحاصل : عندما لاتصح إعادة النظر في أصل المذاهب الفقهية فعلى الأقل لابد من تصحيح المناهج العلمية لتكوين فقه إسلامي مقارن مفيد عبر التواصل وهذا نهج أصيل استمر خلال قرون ثم سادت مؤخرًا بدعة الانفصال الطارئ.. لهذا نستغرب أن يتحول التواصل الأصيل إلى موضع اتهام بالميوعة والانحراف عندما تنقلب الفضيلة إلى رذيلة.

لا شاهد أقوى من الفقه يدل على ترابط المسلمين على اختلاف مذاهبهم، ترابط بسلبياته وإيجابياته لايمكن تفكيكه شائنا أم أبينا .